تحْريفاتُ اليَسُوعيِّين لكتُب التراث

قد لا يخطر في البال أن يعمد إنسان عاقل ينتمي للدين والعلم إلى تشويه النصوص الأدبية والتاريخية، ولكن ذلك واقع بالفعل، ووقع كثيراً من ((الأدباء اليسوعيين)) في بيروت، وهم قساوسة من الطائفة الكاثوليكية، أسسوا جامعة ((القيس جوزيف)) ولهم مطبعة تسمى ((المطبعة الكاثوليكية)). وقد طبعوا منذ قرن من الزمان طائفة من كتب التراث الإسلامي وأحدثوا فيها تحريفات غريبة وعجيبة. تذل على شدة تعصبهم وحقدهم على الإسلام، وفقدانهم نزاهة العلماء، وأمانتهم في النقل، وقد كشف عن بعض هذه التحريفات أفاضل الباحثين، وقد رأيت أن أنبه لذلك، وأذكر بعض نماذج من هذه التحريفات:

1. فقه اللغة للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي:

عندما طبع الآباء اليسوعيون هذا الكتاب استبدلوا عبارة المؤلف عند ذكر النصوص القرآنية (يقول القرآن) ! وهذا منتهى التعصب، فهم لا يريدون أن تمر أبصارهم أو تنطق ألسنتهم، وألسنة قرّاء مطبوعتهم بعبارة تتضمن حقيقة أن القرآن كلام الله، وأين هذا من تسامح علماء المسلمين الذين أدبهم القرآن الكريم على الأمانة في النقل والرواية لكلام المخالفين بنصه، مهما كان محتواه مخالفاً العقيدة الإسلامية، حتى صارت لديهم قاعدة مشهورة: ((ناقل الكفر ليس بكافر)).

2. كتاب ابن عبد البر الذي جمع فيه شعر أبي العتاهية في الزهد والحكم:

يمتاز أبو اسحق إسماعيل بن القاسم المشهور بأبي العتاهية بغزارة شعره الذي أنشده في الزهد في الدنيا، وذكر الموت وما بعده من القبر والحساب في الآخرة والجزاء بالجنة أو النار، سوى ما نظمه في الأغراض الشعرية الأخرى. وقد اتهمه حساده بالزندقة، وحاولوا إثبات ذلك بإيراد روايات عن تهتكه في شبابه، وما كان بينه وبين أمثاله من شعراء العصر العباسي كأبي نواس وغيره. هذا ما حدا بالحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر بالعناية بجمع أشعاره الحكمية والدفاع عنه، وإثبات براءته مما وصم به، في كتابه: الابتهال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال [1].

وكان القسيس الأب لويس شيخو اليسوعي قد طبع ديوان أبي العتاهية منذ ما يقرب من قرن في المطبعة اليسوعية في بيروت، وأعيد طبعها عدة مرات، وفيها تحريفات كثيرة، لفتت نظر الشيخ المحقق أحمد محمد شاكر رحمه الله، أثناء تحقيقه لكتاب: الشعر والشعراء لابن قتيبة. فعلق على ترجمة أبي العتاهية بقوله ((وديوانه معروف مطبوع، طبعة الآباء اليسوعيون.. وهم قوم لا يوثق بنقلهم لتلاعبهم وتعصبهم وتحريفهم، ولكن هذا الذي وجد بأيدي الناس)).

وقد لفت نظري مقال للدكتور آدم بيلو ((حول الشعر التعليمي)) المنشور في العدد 52 من مجلة الجامعة الإسلامية، وفيه يقول: إن جامع ديوان أبي العتاهية لويس شيخو قد أورد من أرجوزة أبي العتاهية المعروفة بذات الأمثال ما يقارب من الخمسين بيتاً، وتذكر أن الدكتور شكري فيصل قد أورد منها ثلاثمائة وعشرين بيتاً، في كتابه: ((أبو العتاهية: أخباره وأشعاره)) المطبوع بجامعة دمشق سنة 1384، وقد أماط مؤلف هذا الكتاب اللثام عن تحريفات الأب شيخو، وقام بجهد مشكور في توثيق شعر أبي العتاهية معتمداً على مخطوطتين إحداهما في الكتب الظاهرية بدمشق، والأخرى في مكتبة توبنجن بألمانيا، وهما نسختان مما جمعه ابن عبد البر، ولما كان ابن عبد البر لم يقصد إلى جمع شعر أبي العتاهية كله، فإن الدكتور شكري حرص على جمع أشعاره وأخباره من مختلف المصادر فجاء كتابه جامعا موثقاً فيه الأمانة في النقل، وإثبات الاختلاف في الرواية إن وجد.

وأما لويس شيخو فقد طمس عمل الحافظ ابن عبد البر، فكتب عنوان الكتاب هكذا: (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية)، وكتب تحته: ((نقلاً عن رواية النمري، وكتب مشاهير الدباء كالأصفهاني والمبرد وابن عبد ربه و المسعودي و الماوردي و الغزالي)).

وحين شرع الدكتور شكري يقابل بين مخطوطة الظاهرية وبين ما في مطبوعة الأب شيخو استرعى نظره أمر خطير، يقول: "لفتني في شئ من عنف تحريفات غريبة وقعت عليها، فلما مضيت أستقصي، بدت لي هذه التحريفات وكأنها عمل مقصود"[2].

وتبيّن للدكتور أن الأمر تجاوز التحريف إلى بتر بعض الأبيات ذوات العدد من بعض القصائد، يقول: "وذكرت حديث الشيخ شاكر رحمه الله وكنت أظن فيه بعض الحدة، فإذا حديثه دون أن ينهض لهذا التضليل الذي إليه طبعة الأب شيخو، والتي أرادت أن تسوق إليه الناس في شئ كثير من الاستخفاف بكل أمانة العلم وخلق العلماء"[3].

نماذج من تحريفات الأب لويس شيخو:

ذكر الدكتور شكري فيصل عدة ملاحظات على مطبوعة شيخو: ((الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية))، ومنها:

1 - طمسه معالم عمل ابن عبد البر حين سكت عنه وأغفل التعريف به، ولم يشر إلى ما أفاد منه، وتعمد ألا يذكره بشهرته ابن عبد البر واكتفى بنسبته (النمري). والقارئ لا يدري أي نمري هو

---

[1] منه نسخة مخطوطة جيدة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة . قمت بتصويرها سنة 1390 . وفي نيتي نشرها محققة إن شاء الله.

[2] بل هي مقصودة , وجريمة تزوير صحيحة.

[3] أبو العتاهية : أخباره وأشعاره ص 7.

!.
2 - سكوته عن وصل الروايات والمقابلات بمصادرها، مكتفياً بهذه المقالات الصماء: روي له، وفي رواية، ويروي، وفي مخطوطة من باريس
3 - طيّه شعر أبي العتاهية الغزلي حيناً، وتحريفه لبعضه حيناً آخر، حذف القطعة خبر منه لأنه يجعل (الحب) (ودّاً)، والهوى نوى والجارية نديماً، والوجه رأياً في مثل البيت التالي:
عزة الحب أرته ذلتي في هواه وله وجه حسن
فيصبره إلى:
عزة الود أرته ذلتي في نواه وله رأي حسن
4- ولكن أعظم من ذلك إنما كان في هذه التحريفات التي تعتمدها وهي تتنوع: فتتناول الكلمة حيناً والجملة حينا، والشطر أو البيت كله مرة والأبيات ذوات العدد في بعض الأحايين.
وهذه نماذج من كل نوع:
1 - في قول أبي العتاهية:
شهدنا لك اللهم أن لست والدا ولكنك المولى ولست بمولود
فقد حرف (والداً) فجعلها (محدثا).
2 - وقوله:
ليت شعري كيف حالك يا نفس غداً بين سائق وشهيد
فقد حرف التعبير القرآني سائق وشهيد إلى سابق وشهيد.
3 - وقوله:
أسقام ثم موت نازل ثم قبر ونشور وجلب
فقد حرف نشور إلى نزول.
4 - وقوله:
إن العقول عن الجنان وحورهن لساهية
وقد حرف حورهن إلى دورهن.
5 - وقوله:
وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاذكر مصابك بالنبي محمد

فقد حرف البيت هكذا:

وإذا ذكرت العابدين وذلهم فاجعل ملاذك بالإله الأوحد

فهو لا يطيق أن يرى لفظة (محمد) صلى الله عليه وسلم

6 - قوله:
الحمد لله الواحد الصمد هو الذي لم يولد ولم يلد

فقد غير الشطر الثاني مع عقيدته القائلة بأن المسيح ابن الله _ إلى

فهو الذي به رجائي وسندي

7 - وإليك أيها القارئ الكريم تحريفاته في هذه القطعة:
يا بنى ادم صونوا دينكم ينبغي للدين ألاّ يطرَح

واحمدوا الله الذي أكرمكم بنبي قام فيكم فنصح

غير بنبي إلى بنذير
بنبي فتح الله به كل خير نلتموه وشرح
غير بنبي إلى بخطيب
مرسل لو يوزن الناس به في التقى والخير شالوا ورجح
غير مرسل إلى ابن من
فرسول الله أولى بالعلا ورسول الله أولى بالمدح
غير البيت هكذا:
فنذير الخير أولى بالعلا ونذير الخير أولى بالمدح[4]

---

[4] انظر ص 100 من كتاب (أبو العتاهية أخباره وأشعاره) وقابلها بصحيفة 67 من الطبعة المنحرفة بعنوان (شرح ديوان أبو العتاهية) طبعة دار التراث بيروت وهي طبق الأصل من الأنوار الزاهية .

8 - وعندما لا يستقيم للأب لويس شيخو تغيير البيت يعمد إلى إسقاطه وحذفه، ومما حذفه الأبيات التالية:

وهو الذي بعث النبيّ محمدا صلى الإله على النبيّ المصطفى
الحمد لله لا شريك له حاشا له أن يكون مشتركا
أين أين النبي ّ صلى عليه الله من مهتد رشيد وهادى

بل هو يحذف الأبيات ذوات العدد، كصنيعة في حذف الأبيات السبعة الأولى من هذه القصيدة التي يبلغ عدد أبياتها 26 بيتاً:

لعيك رسول الله من كان باكيا ولا تنس قبرا بالمدنية ثاويا
جزى الله عنا كل خير محمدا فقد كان مهديا دليلا وهاديا
ولن تسرى الذكرى بما هو أهله إذا منت للبرّ المطهّر ناسيا
أتنسى رسول الله أفضل من مشى وآثاره بالمسجدين كما هيا
وكان أبّر الناس بالناس كلهم وأكرمهم بيتاً وشعبا ووداديا
تكدّر من بعد النبي محمد عليه سلام الله ما كان صافيا
فلم من منار كان أوضحه لنا ومن علمٍ أمسى وأصبح عافيا

وبعد هذه الأبيات التي حذفها:

ركنا إلى الدنيا الدنية ضلة وكشّفت الأطماع منا المساويا
وإنا لنُرمى كل يومِ بعبرة نراها فما نزداد إلا تماديا
نُسرُ بدار أورثتنا تضاغُنا عليها ودار أورثتنّا تعاديا
إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا وان كان كاسيا
اخي كن على يأس من الناس كلهم جميعاً وكن ما شئت لله راجياً
ألم تر أن الله يكفي عباده فحسب عباد الله بالله كافيا

والقصيدة رائعة يختمها بقوله:

ألا أيها الباني لغير بلاغة[5] ألا لخراب الدهر أصبحت بانيا
ألا لزوال العمر أصبحت بانيا وأصبحت مختالا فخوراً مباهيا
كأنك قد ولّيْتَ عن كل ما ترى وخلفت من خلفته عنك ساليا[6]

أجل، فالإنسان المغرور الغافل، يدركه الموت ويترك ماله لوارثه الذي سرعان ما ينساه ويسلو عنه.

وأكتفي بهذه الأمثلة على تحريفات الأب لويس شيخو، وهي نموذج لما يفعله متعصبو الصليبيين بالتراث للإسلامي.

3. المنجد في اللغة:

للأب يوسف معلوف وهو معجم مشهور متداول بين الناشئة، طبع للمرة الأولى سنة 1326 (1908م) في 737 ص بمطبعة الآباء اليسوعيين [7] ثم تتابعه طبعاته، وقد طبعت الطبعة السابعة عشر سنة 1376 (1956م) بعنوان: (المنجد في اللغة والأدب والعلوم)، وذكر في مقدمة هذه الطبعة ما أدخل عليه من التحسينات مثل طبع الكلمة (الأم) باللون الأحمر، وإضافة المنجد في الأدب والعلوم للاب فرد يناند تونل. وفي الطبعة الثالثة والعشرين سنة 1398 (1978م) عنون له: (المنجد في اللغة والأعلام)، ومنذ الطبعة السابعة عشرة كان يراجعه عدد من الأساتذة منهم كرم البستاني، والأب بولس موتراد، وأنطون نعمة وغيرهم.

وقد بلغت صفحات الطبعة الثالثة والعشرين للمنجد اللغوي 966 صفحة ومع (فرائد الأدب) تبلغ 1014 صفحة (والمنجد في الأعلام) 800 صفحة مع 132 لوحة بالألوان و 68 خريطة جغرافية و 39 خريطة

---

[5] أي حاجة كأنه ينظر لقوله صلى الله عليه وسلم (عش في الدنيا كأنك غريب) .

[6] انظر القصيدة كاملة في (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) ص 433 _ 435 وقابل ذلك بـ (شرح ديوان أبي العتاهية) طبعة دار التراث ببيروت بدون تاريخ وبلا ذكر المؤلف أو الشارح . وهي موافقة لطبعات (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية) الذي مسخه وحرفه الأب لويس شيخو . وقد راج في لبنان في هذا العصر سرقة الطبعات بالتصوير , دون استئذان أصحاب الحق في الطبع والنشر والتأليف .

[7] المعجمات العربية تأليف وجدي رزق غالي .

بالألوان، و 32 جدولاً و 1320 رسماً.
وتضمن المنجد في العلام 10،600 مادة، منها 5940 عن العالم الإسلامي.
هذا هو (المنجد) المعجم الخطير بسبب حسن إخراجه وسهولة المراجعة فيه، وما اتصف به من المزايا التي ذكرناها، مما جعله يروج رواجاً عظيماً بين الدارسين من أبناء الأمة الإسلامية.
وترجع خطورته إلى ما تضمنته من أخطاء علمية وتاريخية معتمدة في كثير من الأحيان، وفيه تحريفات ومطاعن في تاريخنا قد تخفى على الناشئة، وقد تنبه لهذه الأخطاء طائفة من العلماء والباحثين.
أ) فنشر العلامة عبدالله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب سلسلة من المقالات في مجلة (دعوة الحق) المغربية انتقد فيها 672 مادة.
ب) وصدرت ثلاث مقالات للأستاذ منير العمادي في مجلة (مجمع اللغة العربية) و (مجلة المعرفة) بدمشق في نقده.
ج) وفي سنة 1389 صدر تقرير عن أضرار (المنجد الأبجدي) للأستاذ سعيد الأفغاني رئيس قسم اللغة العربية بدمشق قدمه إلى رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر وكيل بجامعة دمشق، بيّن فيه بعض عوراته ومثالبه بأسلوب واضح وكلام مركز مبين.
د) ونشر الأستاذ عبد الستار فرج السيد مقالين في مجلة (العربي) بيّن فيهما بعض نواقص المنجد وما فيه من عورات ومثالب، وأورد أمثلة عديدة لما وقع فيه من تحريف للسماء وتشويه للحقائق التاريخية، وأخطاء بسبب الترجمة السيئة، وعدم الرجوع إلى المصادر العربية، وإهمال الكثير من الشخصيات العربية والإسلامية، ومما قاله: ((والمنجد في الأعلام المطبوع عام 1969 ما هو إلا صورة للمنجد في الأدب والعلوم، ولكنها صورة فيها أحياناً بتر وقبح، أو مسخ كريه، أو صياغات أدت إلى خلل واضطراب.
هـ) وتتبع العلامة الشيخ إبراهيم القطان في كتابه النفيس (عثرات المنجد) تحريفاته وأغاليطه حتى بلغت صفحات هذا الكتاب نيّفاً وخمسين وستمائة صفحة، وسار فيه على الخطة التالية:
ينقل نص (المنجد) أو يشير إليه مع ذكر رقم الصفحة ثم يذكر تعليقه عليه وإذا صُحح الموضوع، أو غُيّر أو صُحح بعضه في الطبعة الثانية من منجد الأعلام، فإنه ينبه إلى ذلك، وإذا بقي على خطئه لا يشير إليه إلا نادراً.
وكثيراً ما يشير في تصحيح الألفاظ اللغوية إلى (المنجد) حتى يعلم القارئ أن المصنف لم يراجع الكتب العربية مطلقا بما في ذلك (المنجد اللغوي).
وهذه نماذج من أخطاء المنجد وعثراته، في الطبعة الثانية التي أشرف عليها عدد من الأساتذة:
1_ قالوا في صفحة 395 ((الفضل بن الربيع عهد إليه الرشيد في بعض صلاحيات الوزارة بعد وفاة أمه. وزير للمأمون)).
فما هم المقصود بقولهم بعد وفاة أمه ؟ فهل كانت أمه تلي الوزارة، وعاد هو بعدها ؟ واغرب من هذا وأعجب قولهم إنه للمأمون، والمعروف بدون شك أن الفضل كان من أشد خصوم المأمون، وقد كان وزير للأمين، ولما استقر الملك للمأمون بعد مقتل الأمين استتر الفضل مدة، حتى عفا عنه المامون وبقي مهملا إلى أن مات.
2 _ تسمية الكتاب في الطبعتين الأوليتين (المنجد في الأدب والعلوم) تسمية خاطئة، لأن الكتاب معجم لبعض الأعلام والأماكن والكتب وليس فيه ذكر للأدب إلا عرضا, وبعضها ذكر مشوها، كما عرّف علم الكلام بأنه (علم القواعد الشريعة المكتسبة عن الأدلة) وعرف علم الفقه بأنه (علم تطبيق الأحكام الشريعة المستخرجة بالاجتهاد من القرآن والحديث على الأعمال البشرية والدنيوية)، إلى غير ذلك من التشويه والتخليط دون الرجوع إلى المصادر الموثوق بها والنقل منها. لذلك عدل المشرفون على الطبعة الجديدة عن هذه التسمية وسموه المنجد في الأعلام).
3 _ وبالإضافة إلى الأخطاء والتحريف وتشويه الحقائق فإن في لغة المنجد عجمة ظاهرة أحياناً. وفيه عامية ولحن واضح في بعض المواد لا يقه فيها من كانت له أدنى معرفة باللغة العربية.
4 _ في الصفحة 256 من حرف السين الطبعة الأولى ((سفيان (أبو) ابن أمية القرشي، تاجر عادى النبي وحاربه في بدر وأحد، وقاد جناحا من الجيش الكبير الذي ذهب لحصار المدينة في وقعة مؤته، ثم اعتزل الحرب، وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة. توفي نحو 652)).
ويعلق مؤلف عثرات المنجد على هذه العبارة القليلة الأسطر مبينا فيها الأخطاء التالية:
أ) إن أهم صفة تميز أبا سفيان أنه شيخ قريش وزعيمها في وقته لا أنه تاجر فقط.
ب) ومن المعروف بداهة أن أبا سفيان لم يشهد معركة بدر لأنه كان يقود العبر التي جاءت من الشام ونجا بها إلى مكة.
جـ) عندما جاء أبو سفيان لحصار المدينة كان هو قائد الجيش العام وكان ذلك في
غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة. وهي غير غزوة مؤتة التي كانت سنة ثمان من الهجرة بين المسلمين والروم، وشتان بين الخندق ومؤتة في الزمان والمكان.
د) لم يعتز أبو سفيان الحرب مطلقاً، وبقي معادياً للمسلمين إلى يوم فتح مكة حين أسلم
هـ) وفي صلح الحديبية لم يُذكر أبو سفيان مطلقا، وكانت المفاوضة بين سهيل بن عمرو العامري عن المشركين وبين النبي صلى الله عليه وسلم.
5 – ونختم هذه النماذج للتحريفات بما جاء في أول (منجد الأعلام) الطبعة التاسعة (الثالثة والعشرين) المنجد اللغة:

((آدم: الإنسان الأول وأبو الجنس البشري، وعصى آدم وحواء أوامر الله فطردا من جنة الفردوس، ولكنهما وعدا بمخلص هو المسيح)). ويعلق مؤلف (عثرات المنجد) بما يلي:

يجب أن يقال: هذا حسب اعتقاد المسيحيين، وأما عند المسلمين فالأمر يختلف، وذلك كما جاء في القرآن الكريم: **{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ }** إلى قوله: **{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** (البقرة: 35 _ 37). فإن الخطيئة في اعتقاد المسلمين لا تورث، وكل إنسان مسؤول عن عمله **{وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى }** النجم 39.**{وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}** فاطر 18، **{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}** المدثر 38. صدق الله العظيم.

هذا لا يجوز أن يقتنى (المنجد) إلا ومعه (عثرات المنجد) حتى يتبين من يرجع إلى المنجد ما فيه من السموم والأخطاء.

وأخيراً فإني أهيب بأهل العلم ودارسي الدب أن يقوموا بتمحيص الكتب التي وضعها أعداء الإسلام من اليسوعيين وأشباههم. مثل جورجي زيدان، وخاصة الكتب التي تتناول بالبحث لغة القرآن، وأدب العربية، والتاريخ الإسلامي ، وتراجم أعلام المسلمين، وينقدوها ويستخرجوا ما دسّه فيها مؤلفوها من سموم.

ومما يحزّ في النفس أن ُيختار كتاب (تاريخ الأدب العربية) لجورجي زيدان الحاقد على الإسلام والمسلمين، وكل آثاره شواهد على ذلك وخاصة سلسلة روايات تاريخ الإسلام، يختار كتابه و ويترك كتاب (تاريخ آداب العرب) في ثلاثة أجزاء للأديب المسلم النابغة مصطفى صادق الرافعي رحمه الله، وقد خصص الجزء الثاني لإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وكفانا انخداعاً بتملق بعض الأدباء والكتاب من النصارى، فإن العربية أبت أن تتنصر كما قال العلامة الأديب محمد إسعاف النشاشيبي المقدسي _ رحمه الله _.